

وكان يقول: سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس عليها ممن هو فوقها فإن الغضب يتحرك من باطن الإنسان إلى ظاهره والحزن يتحرك من ظاهر الإنسان إلى باطنه فيحدث عن الحزن المرض والأسقام وعن الغضب السطوة والانتقام.

قال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى وحضرت سماعاً فيه الشيخ رسلان فأنشد القوال شيئاً فكان الشيخ رسلان رحمته الله يثب في الهواء ويدور فيه دورات ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً يفعل ذلك مراراً والحاضرون يشاهدون فلما استقر على الأرض أسند ظهره إلى شجرة تين في تلك الدار قد يبست وقطعت الحمل مدة سنين فأورقت واخضرت وأينعت وحملت التين في تلك السنة، سكن رحمته الله دمشق واستوطنها إلى أن مات بها مستاً ودفن بظاهرها وقبره ثم يزار، ولما ان حمل نعشه على أعناق الرجال جاءت طيور خضر وعكفت على نعشه رحمته الله.

٢٧٥- ومنهم الشيخ أبو مدين المغربي رضي الله تعالى عنه ورحمه:

هو من أعيان مشايخ المغرب وصدور الربيين وشهرته تغني عن تعريفه واسمه شعيب وولده مدين هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ببركة الفرع خارج السور مما يلي شرقي مصر عليه قبة عظيمة وقبره يزار.

وأما والده فهو مدفون بتلمسان بأرض المغرب في جبانة العبادلة وقد ناهز الثمانين وقبره ثم ظاهر يزار وكان سبب دخوله تلمسان قال ما لنا وللسلطان الليلة نزور الإخوان ثم نزل واستقبل القبلة وتشهد وقال ها قد جئت ها قد جئت وعجلت إليك رب لترضى ثم قال الله الحي وفاضت روحه رحمته الله.

قال الشيخ أبو الحجاج الأقسري وسمعت شيخنا عبد الرازق رحمته الله يقول: لقيت الخضر عليه السلام سنة ثمانين وخمسمائة فسألته عن شيخنا أبي مدين فقال هو إمام الصديقين في هذا الوقت وسره من الإرادة ذلك، أتاه الله تعالى مفتاحاً من السر المصون بحجاب القدس ما في هذا الساعة أجمع لأسرار المرسلين منه، ثم قال ومات أبو مدين رحمته الله بعد ذلك بيسير.

وذكر الشيخ محي الدين رحمته الله في الفتوحات قال نهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل

قاف فمررنا بالحية المحدقة^(١) به فقال لي البديل سلم عليها فإنها سترد عليك السلام
فسلمنا عليها فرددت ثم قالت من أي البلاد فقلنا من بجاية فقالت ما حال أبي مدين مع
أهلها فقلنا لها يرمونه بالزندقة.

فقالت: عجباً والله لبني آدم، والله ما كنت أظن أن الله ﷻ يوالي عبداً من عبده
فيكرهه أحد فقلنا لها ومن أعلمك به فقالت يا سبحان الله وهل على الأرض دابة
تجهله إنه والله ممن اتخذ الله تعالى ولياً، وأنزل محبته في قلوب العباد فلا يكرهه إلا
كافر أو منافق انتهى.

قلت: واجمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله وتادبوا بين يديه وكان ظريفاً
جميلاً متواضعاً زاهداً ورعاً محققاً مشتملاً على كرم الأخلاق ﷻ. ومن كلامه ﷻ
ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليه حجب عن غيرها.

وكان يقول: الجمع ما أسقط تفرقتك ومحا إشارتك والوصول استغراق أوصافك
وتلاشي نعومتك.

وكان ﷻ يقول: الغيرة أن لا تعرف ولا تعرف.

وكان يقول: أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه وأفقر الفقراء من
ستر الحق حقه عنه.

وكان ﷻ يقول: الخالي من الأنس والشوق فاقد المحبة.

وكان ﷻ يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو
مفتون وكل من رأته يدعي مع الله حالاً لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره،
وكان ﷻ يقول: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

وكان يقول: من تحقق بعين العبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين
الدعوى وأقواله بعين الافتراء، وكان ﷻ يقول: ما وصل إلى صريح الحرية من بقى
عليه من نفسه بقية.

وكان ﷻ يقول: شاهد مشاهدته لك ولا تشاهد مشاهدتك له وكان ﷻ يقول:
القريب مسرور بقربه والمحب معذب بعينه.

(١) هذه الأمور ليس لها لها إثمات.

وكان يقول: الفقر أمانة على التوحيد ودلالة على التفريد وحقيقة الفقر أن لا تشاهد سواه وكان ﷺ يقول: للفقر نور ما دمت تستره فإذا أظهرته ذهب نوره.

وكان يقول: من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء فما يشم للفقر رائحة.

وكان يقول: الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق، وكان ﷺ يقول: من نظر إلى المكونات نظر إرادة وشهوة حجب عن العبرة فيها والانتفاع بها، وكان ﷺ يقول: من عرف أحداً لم يعرف الأحد والحق ما بان عنه أحد من حيث العلم والقدرة ولا اتصل به أحد من حيث الذات والصفات.

وكان يقول: من لم يصلح لعرفته شغله برؤية أعماله ومن سمع منه بلغ عنه.

وكان يقول: من لم يخلع العذار لم ترفع له الأستار.

وكان يقول: الحق لا يراه أحد إلا مات^(١) فمن لم يمته لم ير الحق.

وكان يقول: في نهيمهم عن صحبة الأحداث الحدث هو المستقبل للأمر، والمبتدي في الطريق هو الذي لم يجرب الأمور ولم يثبت له فيها قدم وإن كان ابن سبعين سنة وقيل أراد بالأحداث ما سوى الله تعالى من المخلوقات.

قلت: والمراد صيحتهم من غير إرشاد وتعليم وإلا فإرشاد مثل هؤلاء هو المطلوب من كل فقير.

وكان يقول: الإخلاص ما خفى على النفس درايته وعلى الملك كتابته وعلى الشيطان غوايته وعلى الهوى إمالته.

وكان ﷺ يقول: إياكم والمحاكمات قبل إحكام الطريق وتمكن الأحوال فإنها تقطع بكم عن درجات الكمال.

وكان يقول: كل فقير لا يعرف زيادته ونقصه في كل نفس فليس بفقير.

وكان يقول: الفقر فخر والعلم غنم والصمت نجاة والإياس راحة والزهد عافية ونسيان الحق طرفة عين خيانية.

(١) هنا حق وهو قول الله لموسى عليه السلام حينما طلب النظر إليه تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا ۖ وَهَذَا رَدُّ عَلَىٰ مَا يَرُدُّ عَلَىٰ لِسَانِ الْبَعْضِ عَنْ رُؤْيَا النَّاتِ الْعَلِيَّةِ.

وكان يقول: الحضور مع الحق جنة والغيبة عنه نار والقرب منه لذة والبعد عنه حسرة والانس به حياة والاستيحاش منه موت.

كان يقول: طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة.

وكان يقول: من قطع موصولاً بربه قطع به ومن اشغل مشغولاً بربد ادركه المقت في الوقت.

ومكث ﷺ سنة في بيته لا يخرج إلا للجمعة فاجتمع الناس على باب داره وطلبوا منه ان يتكلم عليهم، فلما الزموه خرج فراى عصافير على سدرة في الدار، فلما راته في الدار فرت فرجع وقال لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني الطيور، ثم رجع وجلس في البيت سنة اخرى، ثم جاءوا إليه فخرج فلم تفر منه الطيور فتكلم على الناس ونزلت الطيور تضرب بأجنحتها وتصفق حتى ملت منها طائفة الحاضرين.

وكان يقول: كل بدل في قبضة العارف لأن ملك البدل من السماء إلى الأرض، وملك العارف من العرش إلى الثرى.

وكان الله تعالى قد أذل له الوحوش ومر يوماً على حمار والسبع قد أكل نصفه وصاحبه ينظر إليه من بعد لا يستطيع ان يقرب منه فقال لصاحب الحمار تعال فذهب به إلى الأسد وقال له أمسك بأذن الأسد واستعمله مكان حمارك فأخذه بأذنه وركبه وصار يستعمله سنين موضع حماره حتى مات، وقيل له مرة في المنام حقيقة سرك في توحيدك فقال سري مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلهية التي لا ينبغي بها لغير أهلها.

إذا الإشارة تعجز عن وصفها وأبت الغيرة الإلهية إلا أن تسترها، وهي أسرار محيطة بالوجود لا يدركها إلا من كان وطنه مفقوداً، وكان في عالم الحقيقة بسره موجوداً، يتقلب في الحياة الأبدية وهو بسره طائر في فضاء لللكوت ويسرح في سرادقات الجبروت وقد تخلق بالأسماء والصفات وفنى عنها بمشاهدة الذات، هناك قراري ووطني قررة عيني ومسكني.

والحق تعالى في غنى عن الكل قد أظهر في وجودي بدائع قدرته وأقبل علي بالحفظ والتوفيق وكشف لي عن مكنون التحقيق فحياتي قائمة بالوحدانية وإشاراتي إلى الفردانية فروحي راسخ في علم الغيب يقول: لي مالكي يا شعيب كل يوم جديد على العبيد ولدينا مزيد ﷺ.

٢٧٦- ومنهم أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي رضي الله تعالى عنه :

هو من اجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة له الحل الأرفع من مراتب القرب والمنهل العذب من مناهل الوصل وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة وآتاه مفتاحاً من علم السر المصون وكنزاً من معرفة الكتاب والحكمة.

وكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، يقول هو: شهدنا بما شاهدنا وويل لمن كذب على الله تعالى، ومن كلامه ﷺ أدركت فهم جميع صفات الله تعالى إلا صفة السمع.

وكان يقول: المتكلمون كلهم يدندنون حول عرش الحق لا يصلون إليه.

وكان يقول: قطع العلائق بقطع بحر الفقد وظهور مقام العبد بعدم الالتفات إلى السوى، وثقة القلب بترتيب القدر السابق.

وكان ﷺ يقول: التجريد نسيان الزمنين حكماً والذهول عن الكونين حالاً وغيض البصر عن الأين وقتاً حتى تنقلب الأكوان باطناً لظاهر ومتحركاً لساكن فيسكن القلب بتمكين القدر على قطع الحكم والابتهاج بمنفسحات الوارد وانسراح الصدور بصور الأكوان مع ثبوت المقام بعد التلوين ورسوخ التمكين فتكون السماء له رداء والأرض له بساطاً.

وكان ﷺ يقول: الهيبة في القلب لعظمة الله تعالى هو طمس أبصار البصائر عن مشاهدته بمن سواه حسباً فلا يرى إلا بأنوار الجلال ولا يسمع إلا بسواطع الجمال.

وكان يقول: الرضا سكون القلب تحت مجاري الأفكار بنفي التفرقة حالاً، وعلم التوحيد جماً فيشهد القدر بالقادر والأمر بالأمر وذلك يلزمه في كل حال من الأحوال.

وكان ﷺ يقول: التمكن هو شهود العلم كشفاً ورجوع الأحوال إليه قهراً والتصرف بالقادح حكماً وكمال الأمر شرعاً.

وكان يقول: في الجوع صفاء الأسرار في استغراق الأذكار.

وكان يقول: الشوق هو استغراق في مبادئ الذكر طرباً ثم الغيبة في توسط الذكر شكرًا ثم الحضور في أواخر اذكر صحواً فهو بين استغراق وغيبة بزعة